# المؤسسه العلميه بمدينة تلمسان واثرها على المجتمع فى المغرب الاوسط فى عصر دولة بنى زيان 633/972 - 1554/1236م

د. حسن احمد محمد احمد

## مقدمة

لاشك أن الحركة الفكرية بمدينه تلمسان خلال العهد الزياني أقل واضح وبالغ الأهمية، فقد اكتسب المجتمع ثقافه واسعه ويقدمه حضاريا اخرجة في طور البداوة الى طور الحضارة، وأساس هذه الحركة الثقافية التعليم الذي كانت له أهمية بالغه في حياة الافراد والمجتمعات، و به تنمو المدارك وتتسع العارف وتفتح الافاق وهو الوسيلة المثلى لإحداث إي تغيير في المسار الحضاري لأيه أمه واستشراف مستقبلها، كذلك انصبت جهود سلاطين بني زبان وعلمائها على ممارسته واشاعته سعيا منهم نحو غدا افضل، هذا الاهتمام الذي اعطاء الحركة الفكرية اهميه كبير حيث انتشرت المعرفة في الاوساط الشعبية ببلسان ورسخت بفضل التعليم والرحلات العلمية والاحتكاك الثقافي بين العلماء القاطنين والوافدين المناظرات الفكرية المتعددة بين العلماء وكثرت المعادلات والمناقشات الشفوية والمكتوبة بين علماء تلمسان وغيرهم مما أدى إلى تطور العلوم التقلية والعقلية وبرز فيها علماء تلمسان خلال وغيرهم بعمق التفكير وغزارة التحصيل فكانت لهم اسهامات جادة في النهضة العلمية والحركة الفكرية في بلاد المغرب الأوسط وخارجة.

ونظراً لما تمثله هذه الرحلة من اهميه بالنسبة للحركة الفكرية في المغرب الأوسط من نمو واشعاع حضاري نبع فيه عدد واخر من العلماء والادباء في الميادين، فقد كان عنوان هذه الورقة:

المؤسسة العلمية في مدينه تلمسان وأثرها على المجتمع في المغرب الاوسط في عصر دولة مبنى (633-972-1236-1554م)

حيث ان مدينة تلمسان شهدت في تلك الفترة منطقة فكرية فكان من اهم أسبابها المؤسسات التعليمية والاهتمام الذي حضيتها مثل المساجد والزوايا والمكتبات وبيوت العلماء والعصور والاهتمام التي كان دورها بارزاً في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية فيها.

## أولا: الكتاتيب والمساجد والأربطة:

1. الكتاتيب:

والكتاتيب مفردها كتاب وهو لفظ مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، وهي المهمة التي اضطلع بها أولاً ولا شئ سواها، وقد فسرتها لنا معاجم اللغة منها القاموس المحيط ولسان العرب على أن المكتب[1] والكتاب موضع تعليم الكتاب أي الكتابة، والمكتب المعلم والكتاب والصبيان[2]

(1) مجد الدين محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ج1، 1978، ص121
(2) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ج 1، (دت)، ص 699

تعد الكتاتيب من أقدم وأهم المؤسسات التعليمية بعد المساجد، التي أسهمت في نشر العلوم والمعارف الإسلامية، وتعتبر هضم المؤسسة الشعبية

**أنواع الكتاتيب:**

لقد كانت هناك ثلاثة أنواع من الكتاتيب في بلاد المغرب الأوسط وهي:

1. **الكتاب البدوي :** ويسمى محل تعليم الشريعة، وهو عبارة عن خيمة وسط خيام الحي البدوي، يقوم بإنشائها رئيس الحي وأهله للمعلم لتعليم الأطفال الصغار من الذكور والإناث، ويختارون لهذه المهمة ممن تتوفر فيه شروط المعرفة والمقدرة التعليمية مع الثقة الأخلاقية، لأنه يباشر تعليم البنات، كما لهذا المعلم وظائف أخرى في داخل الحي يقوم بها مثل الإفتاء في المسائل الدينية والوعظ والإرشاد والإمامة في الصلاة وتحرير الرسائل إلى غير ذلك من المهام
2. **الكتاب الحضري:** ويسمى معهد التعليم الابتدائي عند أهل المدن والقرى الكبيرة، أو مسيداً أو مكتباً فكلمة مسيد تحريف لكلمة مسجداً وتميزاً لها لتباين الفرق بين المسجد الذي هو مكان للصلاة والعبادة، والمسيد هو مكان للتعليم مثل كتاب مرسى الطلبة [1].
3. **كتاب السراة :** وهذا الكتاب خاص بالأمراء وأعيان الدولة ، حيث كانوا يبنون في قصورهم كتاتيب ويجلبون لها اشهر المؤديين واعلاهم قدراً وعلماً

## مكونات الكتاب :

كانت الكتاتيب في تلمسان تتمتع بهندسة خاصة، كما في كتاب مرسى الطلبة الذي يتكون من طابقين الأول يوجد فيه مكان للوضوء يتدرب فيه الطلبة على الوضوء عمليا، أما الطابق الثاني فيتكون من غرفة كبيرة كثيرة النوافذ عالية السقف يصعد إليها بالسلم، وقد علقت بها ألواح الطلبة على طول الجدار، وبالمدخل توجد محاية من الفخار مملوءة بالماء يمحي بها الطلبة الألواح بعد حفظ ما كتب عليها من كتاب الله أما عن مكان الكتاب فإنه كان خارج المسجد خوفاً من عبث الطلبة، وإنهم لا يتحفظون من النجاسة [2]

- **نظام التعليم بالكتاب :**

لقد كان نظام التعليم ديني وأدبي وفني يعتمد من ناحية على الذاكرة، ومن ناحية أخرى على الملاحظة والتجربة، فيحفظ القرآن الكريم على مراحل، وفي كل مرحلة تقام له حفلة مثل حفلة (ختم سورة البقرة) مثلا هذا من الناحية النظرية وفي ذلك يحث الإمام السنوسي على أن يكون المنهج الدراسي في الكتاب، مستمداً من نصوص الإسلام الأساسية المتمثلة في القرآن والسنة النبوية، أما من الناحية العملية فإن الطالب يتعلم الوضوء والصلاة محلياً في مسجد الكتاب أو في مسجد الحي الذي يسكن فيه، ومن الناحية الأدبية فإن الطالب يحفظ الأجرومية والألفية على حسب ترتيب المغاربي المتعارف علية وهو الألفبائية ومن الناحية الفنية فإن الطالب يتعلم تحسين الخط وزخرفته على اللوح

(1) عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، أطروحة لنيل الدكتوراة الدولة الجزائر، معهد التاريخ، غير منشورة، ج2، 1995م، ص 338

(2) فؤاد الأهواني التربية في الإسلام، دار المعارف القاهرة ، 1983م ، ص 60 .

بالألوان، كما يتعلم الألحان في التجويد ، وتصبح لديه ثقافة فنية وموسيقية، ويشتغل في بستان الكتاب ليتعلم بمبادئ الفلاحة التطبيقية أما فترت الدراسة بالكتاب فهي فترتان صباحية ومسائية وتقسم على فترات رئيسية تفصلها أوقات الصلاة ويدرس الطلاب خمسة أيام من الأسبوع، ويعطلون أيام الخميس والجمعة والأعياد الدينية الأخرى ، وتستمر الدراسة طوال السنة بهذه الكتاتيب والكتاب يمهد الطريق للطالب بعد بلوغه السن والتحصيل الملائمين له للانضمام في حلقات الشيوخ في المساجد التي تعد مرحلة علمية متقدمة[1]

وهكذا يتضح لدى الباحث أن الكتاب ظاهرة خاصة كانت له مهمة جليلة في غاية الأهمية ، حيث يعتبر المؤسسة العلمية الأولى التي يلتحق بها الطالب ويتعلم يوم دخول المسيد بسم الله الرحمن الرحيم[2]، كما أنه يعتبر مؤسسة خلقية يتعلم فيها الطالب آداب الحديث والجلوس وتمهده للجلوس في حلقات العلم في المساجد ، ومنها يتخرج الطالب متشبعاً باللغة العربية والثقافة الإسلامية ، ويحظى بتقدير واحترام خاص في المجتمع الذي يعيش فيه فهو يعد من رواد النهضة الثقافة في المجتمع ، ويعمل على رقيه وتقدمه .

- المساجد.

المسجد في اللغة : هو المكان الذي يسجد فيه ، وهو مفرد المساجد ، وهو مصلى ال جماعات ومحراب البيوت، والموضع الذي يتعبد فيه الإنسان ، استناداً لقول النبي عليه السلام

(جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) [3].

وفى الاصطلاح: وهو كل مكان من الأرض يصلح أن يكون مسجداً إذا توفرت فيه الشروط اللازمة لاتخاذه مسجدا [4] والمسجد عبارة عن قطعة من الأرض متسعة مربعة تقريبا تحيط بها أربعة جدران وفى الجهة القبلة سقيفة محمولة على عمد من جذوع النخل أو عمد منقولة [5] ويعتبر المسجد المعهد الأول لنشر العلم ومكان التعليم في العالم الإسلامي ، فهو ما يزال ذو رسالة سامية وعلمية خالدة عبر العصور، يمارس بها التعليم حتى صار ارتباطه بالتعليم كارتباطه بالصلاة، وأصبح من أكبر معاهد التعليم والثقافة، ومؤسسة من أهم المؤسسات التعليمية في المجتمع الاسلامي منذ أن وضع الرسول صلى الله عليه وسلم أسس المسجد بالمدينة المنورة، وما قام به المسجد عبر تاريخه من نشر الدين الإسلامي وتعليم أصحاب الرسول القرآن والسنة، وعلى هذا النمط أخذت بقية الكساجد التي أنشئت في بقاع الدولة الإسلامية على عاتقها القيام بدورين أساسين وهما العبادة ونشر العلم.

(1) فؤاد الأهواني مرجع سابق، ص 60-65.
(2) المصدر نفسه والصفحة.
(3) ابن منظور، لسان العرب ، ج 3، مادة من - ج 13 دار صادر بيروت، ص 204، 205.
(4) محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، نح / أبو الوفاء مصطفى المراغى ، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ط 5، 1999م، ص270
(5)محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1972، ص25

ومن أهم المساجد المسجد الأعظم الذي يعد أهم دور العبادة والتعليم في تلمسان والذي يعد بحق معهد للتعليم العالي [1]، حيث نراه قد استوعب كل العلوم المذكورة سابقاً وكان يحضرها إلى جانب طلبة تلمسان كثير من الطلبة الذين يأتونه طلباً للعلم من فاس وبجاية[2] وبلاد إفريقية وغيرها، وخاصة عندما كان يقوم عليه كبار العلماء أمثال أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسى توفى (680هـ / 1281م)، الذي كان مجلسه بالجامع الأعظم يتسع للكثير من الفقهاء يحضرون دروسه ويتعلمون منه [3]، وقد تخرج على يديه مالا يحصى عدده من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء وحافظ الجامع الأعظم على دوره التعليمي عبر عصور الدولة الزيانية فقد درس فيه العالم أبو عبدالله الحسنى الشريف التلمساني وتخرج عليه من التلاميذ ما لا يحصى من صدور العلماء وأعيان الفضلاء، ودرس فيه ابنه عبد الله الذي تميزه بمعرفته لطرق التعليم المختلفة واستيعابه لعلوم عصره حتى لم يكن في المغرب أكثر اجتهاداً منه في الاقرأو انتفاع الطلبة وارتحلوا إليه من الآفاق[4]، كما درس فيه كل من القاضي سعيد العقباني[5] والعالم الحسن مخلوف المعروف بأبركان "

والشيخ ابن زغوان وغيرهم من كبار العلماء والشيخ ابن زغوان والعالم محمد بن يوسف السنوسي[6]. وكلهم شكل حلقات متوالية، كان الجامع الأعظم يؤدى دوره التعليمي بكفاءة واقتدار، وبالإضافة إلى المسجد الأعظم فقد وجدت في تلمسان عدة مساجد كان لها الدور الفعال في النهوض بالحركة العلمية على أكمل وجه.

ومن هذه المساجد :

- مسجد أقادير والذي يرجع تاريخ إنشاء قاعدته إلى عهد الأدارسة والتي عمل يغمرا سن إلى إعلانها وترميمها، حيث تولى الخطابة بهذا المسجد الفقيه أبو علي منصور ابن هدية، وكان من أهل العلم والدين
- مسجد سيدي أبي الحسن الذي شيده السلطان أبو عثمان سعيد بن يغمراسن سنة (797هـ/ 1296 م) والذي حمل اسم العالم الجليل أبي الحسن التنسى الذي انتقل من تنس إلى تلمسان في عهد يغمراسن، حيث تصدر فيه هذا العالم إلى العلم والتعليم وإلقاء الدروس الدينية والعلمية [7].
- مسجد أبناء الإمام الذي أسسه السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول سنة (707-718ه / 1307-1318م) من أجل العالمين ابنى الإمام اللذين قدما إلى تلمسان، حيث تصدرا إلى الدراسة والعلم والإفتاء في داخل هذا المسجد، وكثرت به حلقات العلم.

---

(1)عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بنى زيان مجلة الأصالة ٢٦٤، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤن الدينية الجزائر، 1975م، ص 138

(2) ابن مريم، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن أبي شنب منشورات المطبعة الثعالبية الجزائر ، 1980م، 119.

(3) ابن مريم البستان مصدر سابق ص 237

(4)ابن مريم ، البستان ص 119

(5) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 120

(6) ابن مريم، البستان، ص237

(7) حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ع37، 1981م، ص237

- مسجد سيدي إبراهيم المصمودي وتم تأسيسه من قبل السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1358-1388م) بجانب قبة وزاوية ومدرسة هذا الولي، وكانت هذه المجموعة بالكامل تسمى المدرسة اليعقوبية، وقد تصدر للتدريس في هذا المسجد العديد من العلماء والفقهاء منهم الفقيه والعالم أبا عبدالله محمد بن أحمد الشريف الحسني ، وغيره من العلماء.
- مسجد أبو مدين شعيب : الذي شيده السلطان أبو الحسن المريني ( 732-749ه/ 1331-1348م ) بقرية العباد وأعطاه اسم هذا الولي الصوفي الاندلسي الذي نزل بتلمسان وتوفى بها سنة (594ه-1197م)[1]، وقد عين فيه السلطان أبو الحسن المريني العالم محمد بن أبي بكر ابن مرزوق خطيباً بهذا الجامع حتى وفاته [2] ثم تولى من بعده ابن أخيه محمد بن مرزوق الشهير بالخطيب ، وعينه خطيباً بالمسجد المذكور حيث سمعه وهو يخطب على المنبر وقد أحسن في ذكره والدعاء له ، فعينه خطيباً فيه .
- مسجد سيدي الحلوى : والذي يشابه كثيراً مسجد سيدي أبو مدين، حيث بناه السلطان أبو عنان المريني سنة (754ه/1353م) [3] ودرس في هذا المسجد عدداً لا بأس به من العلماء والفقهاء أمثال ابن محمد بن أبي بكر مرزوق الخطيب، والحسن بن مخلوف الشهير بابركان وغيره، ويتضح مما سبق أن المساجد أسهمت بدور فعال في إثراء الحركة العلمية في تلمسان كما أسهمت المكتبات المسجدية " في تقديم المادة العلمية للطلبة وعامة الناس وفي معظم الأوقات بالمطالعة فيها داخل المساجد والجوامع أو بإعارتها خارج المسجد لبيوت الطلبة أو لعموم الناس للقراءة أو النسخ وكانت تشكل القاعدة التي يلجأ إليها العلماء والطلبة للاستفادة والمداومة على طلب العلم، كما يعتبر المسجد أحد الأمكنة التي انطلقت منها حركة الترجمة والتأليف عند العلماء والفقهاء والأدباء ومعظم المصادر العربية نسخت بالمساجد كما أن القرآن الكريم نفسه كان يحفظ وينسخ بالمساجد [4].

ومن هنا يتضح أن المسجد فعلا مؤسسة تعليمية رائدة ساهمت مساهمة فعالة في تعليم المجتمع وتربيته، وقد تخرج من أحضانه كبار العلماء وعدداً لا يحصى من الرواد والمثقفين.

**الأربطة :** من المراكز الحضارية التي أسهمت في نشر الحركة الفكرية والعلمية والدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط الأربطة التي كانت تقوم بوظيفتها التعليمية مثلها مثل المراكز التعليمية الأخرى.

(1) حسين مؤنس ، المساجد ، ص 238العباد قرية من قرى تلمسان وتقع بضواحي المدينة.
(2)محمد ابن مرزوق التلمساني المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تح ماريا خيوس تق محمود بوعياب الشكرة الوطنية للنشر الجزائر ، 1981م، ص 180
(3) حسن مؤنس، المساجد، ص239
(4)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

ومعنى الربط والمرابطة وملازمة ثغر العدو امتثالاً لقوله تعالى (وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا )[1]، أو معنى انتظار الصلاة بعد الصلاة[2]، وكما ورد عند المقريزي في كتابه الخطط المقريزية أنه أصل الرباط ما تربط به الخيول ، ثم قيل كل ثغر يدفع أهله عمن ورائهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن ورائه والمقيم في الرباط إذا اشتقت من كلمة ربط المأخوذة من القرآن الكريم كما جاء في الآية السابقة وكما في الآية التالية: [وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُو اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ، وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُم اللَّهُ يَعْلَمُهِمْ وَمَا تُنفِقُو مِنْ شَيْ في سَبِيلِ اللهِ يُوف إِلَيْكُم وَأَنتُم لا تُظْلَمُونَ ][3]، ومنه تطورت الكلمة إلى أن أصبحت تعنى المكان الذي يجتمع فيه المتطوعين لمواجهة العدو والعبادة ثم أصبحت عبارة عن منشأة علمية ذات صبغة دينية وحربية تدافع عن الإسلام .

**ثانيا: الزوايا والمدارس:**

الزوايا من المرافق الهامة في المغرب الأوسط الزاوية، وهي تطلق على عدد من الأبنية ذات الطابع الديني والثقافي والعلمي بتلمسان.

والزاوية عبارة عن مكان متسع النواحي والفائدة، فليست مسجدا صغيرا كما هو معروف اليوم و ليست دارا للصوفية كالرباط، إنما هي جامعة أهلية مصغرة تؤدي رسالتها بجوار المسجد بكفاءة واقتدار[4] وكثرت الزوايا في بلاد المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية زاوية العباد بظاهر تلمسان وزاوية سيدي أبي الحسن التي شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الزياني[5]، وزاوية الحلوى بجانب مسجد الشيخ الحلوى، وزاوية الحسن ابن مخلوف الشهير بأبربكان قرب المدرسة الجديدة التي جدد بنائها السلطان أبو العباس أحمد العاقل (834-866ه/ 1340-1461م) [6] ، وزاوية أبي يعقوب العشاش بشلف، كما وجدت بعد ذلك في القرن التاسع الهجري زاوية الثعالبي في مدينة الجزائر وضريح محمد الهوارى" في وهران وزاوية السنوسي بتلمسان [7].

**أنواع الزوايا :**

لقد وجدت ثلاث أنواع من الزوايا في المغرب الغربي بشكل عام وهي :-

(1) محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروسمن جواهر القاموس مع / إبراهيم الترزي مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الكويت، 2000م ، ج 5، ص 141.
(2) من سورة ال عمران، جزء من الآية رقم 200
(3) سورة الانفال، الآية رقم 60
(4) عبد الحكيم عبد اللطيف، المسجد رمز الصمود والتحدى الدار العربية للكتاب، القاهرة 2000م ص 413
(5) شارل اندرى جوليان تاريخ أفريقيا الشمالية ، تر / محمد مزالى وبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ج 2، 1969 م، ص 210.
(6) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص60.
(7) محمد بن عثمان الهوارى الولى الصالح سافر من فاس على المشرق للحج ورحل إلى مصر ، ثم القدس وتجول بالشام واستقر أخيراً بوهران وبها توفى سنة 843 هـ / 1439 م . للمزيد ينظر الزياني ، دليل الحيران ص 41

1. الزاوية الحرة أو البسيطة: وهي التي لا تنسب إلى والى أو إلى طريقة [1]، وهي عبارة عن مجموعة من المباني المتلاصقة مع بعضها البعض يكون فيها مبيت للطلبة وهو عبارة عن غرفة حول صحن كبير منها غرفة للتدريس وغرفة للمكتبة .

بالإضافة إلى الجامع والعديد من المرافق أخرى، وتكون الأراضي حولها حبسا عليها وفي الغالب تعيش منها.

2. زاوية الولي : وهى منتسبة إلى ولي من أولياء يكون بها ضريحه .
3. زاوية الطرقية : وهي تنتسب على طريقة من الطرق كالتيجانية"** والقادرية ***

والرحمانية والدرقاوية وغيرها وهذان النوعان من الزوايا يكتسبان سمعة طيبة ومكانة عظيمة من المكان المنسوب إليه أحدهما ، ولهذا تكثر فيها الزيارات ، ومنها يزداد ايرادهما وسرعان ما تتحول الزاوية الواحدة منها إلى مركز عمران كبير.

**مرافق الزاوية :**

تميزت الزوايا بوجود مرافق مختلفة أسهمت في إعطاء الطابع الخاص لها ، فالزاوية عبارة عن مبنى كبير يحتوى على قبة كبيرة وعلى مسجد تقام فيه الصلاة ، وتلقى فيه الدروس الدينية ، ويجتمع فيه للذكر والأوراد ، وبها بيوت خاصة سكنها الإمام والمؤذن والناظر [2] ، بالنسبة للزوايا الكبيرة ، وبيوت أخرى الإقامة الضيوف من الطلبة أو من المسافرين أو من الوافدين أو من الحجاج الذين يمرون بالزاوية في موسم الحج ، أو العائد من الأراضي المقدسة ، كما تضم بعض الزوايا مدفن مؤسس الزاوية أو مدفن أحد الأولياء الذي أقيمت له الزاوية، وتضم مكتبة بأمنائها وخزانة كتبها من المحفوظات والمراجع التي يحتاجها الطلاب ويستفيدون منها في دراستهم [3]، وبها دار معدة للطبخ تقوم بإعداد الطعام للقاصدين والنازلين في الزاوية.

ويتولى القيام بالزاوية على جانب الإمام والمؤذن والناظر ومجموعة من الصوفية تتولى إقامة الأوراد والذكر وكل واحد منهم يصرف له راتبه من أحباس الزاوية ومن الزكاة والصدقات من أهل الخير أو مما يرتبه السلطان عليها [4] الاهتمام بأخلاق الصالحين، وأصبحت عادة متبعة لا يستطيعون التخلي عنها.

---

(1)أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1، ص 39 – 40

** التيجانية : تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبو العباس بن أحمد بن مختار التيجاني ، الذي ولد في قرية عين ماضي بالجنوب الجزائري عام 737هـ . للمزيد حول هذه الزاوية وينظر عبدالله عبد الرازق ، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، مكتبة مدبولي القاهرة، 1989، ص 61

*** القادرية : تنتسب إلى محمد بن محي الدين عبد القادر، ويرجع أصله إلى جيلان، وتعتبر أول طريقة دخلت على بلاد المغرب العربي على يد الوالي أبومدين شعيب ، المعرفة المزيد حولها ، ينظر: عبد الله عبد الرازق أضواء على الطرق الصوفية، ص 35 وما بعدها.

(2) ابن مريم ، البستان ، ص 33-35- 37

(3)عبد الحكيم عبد اللطيف ، مرجع سابق، ص 96 .

(4)ابن مريم، البستان ، ص 249

أما في المرحلة الأخيرة فقد انحرفت الزاويا عن التصوف السني وانجرت نحو التصوف العلمي[1]، وأصبحت مكاناً يقصده الناس لزيارة شيخ الزاوية الصوفي والتبرك به، والتماس الدعاء، فمثلاً جعل إبراهيم التازي عميد أصحابه محمد بن موسى بن نيف وصياً على زاويته[2]، كذلك انتقلت زاوية يعقوب بن عمران البويوسفي إلى طور الوراثة فقد انتقلت مشيختها إلى ابنه يوسف وغيرها.

ومن هنا فقد أصبحت الزاوية مقراً للمتصوفة يمارسون فيها أورادهم والتي يفتتحونها ببعض الذكر والتلاوة لبعض آيات الكتاب الحكيم على صوت أحد مريديها، ولكن مع ذلك كله فإن ذلك الانحراف الذي طرأ على الزاوية قد أحدث نوعاً من الحوار العلمي بين الفقهاء وشيوخ هذه الزوايا كانت له إثاره الجلية ، وعليه فأنه يمكننا أن نقول أن الزاوية أسهمت في التقدم العلمي والحضاري عبر تاريخها الطويل ، وعبر مراحلها المتعددة التي مرت بها في تلك الفترة .

لقد أسهمت الزوايا في النهوض بالحركة الفكرية والتعليمية، حيث أنها مؤسسة تعليمية، فقد نصبت مهامها في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم النقلية وبعض العلوم العقلية، كالفرائض والحساب، وقد برزت العديد من الزوايا في هذه المرحلة نذكر منها على سبيل المثال زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي (611 هـ / 1214م) [3] ، التي كانت تقوم على عقد حلقات الدروس بداخلها، وكذلك زاوية أبي حجلة عبد الواحد في تلمسان ، وكان يقوم بالتدريس في هذه الزاويا كبار العلماء، ويفذ عليهم الطلبة من كل مكان للاستفادة العلمية مما جعل الزاوية في تعليمها شبيه بالمدرسة فنشرت العلم وعممته على طبقات المجتمع المختلفة وعملت على رقيه وتقدمه ومن ثم انتقلت الزواية و تخصصت في تعليم القرآن الكريم وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، وتعتبر زاوية أبي الحسن التنسي التي شيدها السلطان أبو سعيد عثمان (703-681 هـ / 1281-1320م)، والتي كان يتصدر فيها هذا العالم إلى إلقاء الدروس الدينية وقراءة الكتب المتعلقة بسيرة النبي، ومدحه مثل كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، بالإضافة إلى زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (662 هـ / 1263م) ببجاية، وكذلك زاوية أبي الربيع سليمان ابن حبوس الحسناوي والمعروفة بالزاوية الحسناوية[4]، كل هذه الزوايا وغيرها أصبح اهتمامها في تلك الفترة بالأمور الدينية من ذكر الله عز وجل، والتهليل والتسبيح

**المدارس**

بدأ المسلمون بإنشاء المدارس في المشرق الإسلامي قبل مغربه ، و هذه المدارس مؤسسات تتبع الدولة، حيث يقوم الأمراء والسلاطين بإنشائها و العناية بها و كان الغرض منها إعداد الموظفين للدولة، وقد احتوت الدولة الزيانية على مجموعة من المدارس التي بناها السلاطين الزيانيون

(1) عبد الله بن محمد بن صعد ، روضة النسرين في مناقب الأربعة المتاخرين ، نح يحيى بوعزيز ، منشورات أنيب، الجزائر ، 2004، ص159

(2) أبو العباس أحمد القسنطيني ابن قنفد أنس الفقير وعز الحقير، تصح / محمد الفاسي او د نفود منشورات المركز الجامعي، كلية الآداب الرباط، 1965، ص43- 45

(3)أبو العباس أحمد الغبريني الدارية قيم عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية الشركة الوطنية للنشر وتوزيع الجزائر، ط2، 1981م، ص137- 193

(4) عباس إبراهيم المراكشي ، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الجديدة ، فاس ، ج 1، (دت)، ص367

وسلاطين بني مرين عندما استولوا على تلمسان و منها يتاها أثرياء المسلمين. و كانت مدينة تلمسان وحدها تحوي خمس مدارس بقيت عامرة بهندستها وبحركتها العلمية إلى عهد حسن الوزان الذي أشاد بها قائلا خمس مدارس حسنة جيدة البناء ، مزدانة بالفسيفساء و غيرها من الأعمال الفنية انتشرت المدارس في باقي المدن الزيانية مثل مازونة، والجزائر ووهران و غيرها من المدن [1].

ولكن يتبادر إلى الذهن سؤالا و هو ما هي الدوافع و الأسباب التي دفعت بالسلاطين إلى إنشاء هذه المدارس ... للإجابة على هذا السؤال يتضح أن هناك عدد من دوافع وأسباب التي شجعت السلاطين على إنشاء هذه المدارس ويأتي الدافع العلمي في مقدمتها والحاجة الماسة إلى إنشاء مثل هذه المؤسسة، حيث تجاوز عدد الطلبة في المساجد مختلطين بالعامة و لم يعد بمقدور المسجد استيعاب هذه الأعداد من الطلبة، أو تصنفيهم عن غيرهم وهم يستغرقون الوقت الطويل في الدراسة و العلم وقد كان العالم أبو إسحاق إبراهيم ابن يخلف التنسي يدرس التفسير في مسجد القيسارية ، وكان يحضره الفقهاء والطلبة والعامة ، و من كثرتهم كانوا يجلسون في السكك حتى ضاقت بهم الشوارع المتصلة.

**مرافق المدرسة :**

احتوت المدارس على مرافق مختلفة شكلت بمجموعها نظام بنائها الخاص، وكان هذا النظام مستمدا من نظام المسجد الجامع الذي تطورت عماراته و تخطيطه تطورا منطقيا بحكم الضرورة، فأما المدرسة فأقيمت فيها بيوت لسكن الأساتذة والطلبة، ورتب لهم أجر معلوم ووتوفرت لهم سبل البحث و الدراسة و المعيشة [2] و يمكننا أن نوضح عدة خصائص تميزت بها أبنية المدارس في العهد الزياني ، وأهمها :

**أ-** أن المخطط العام للمدرسة كان على شكل مربع أو مستطيل يتمركز فيه الصحن والذي يشكل المساحة الأكبر وتحيط بالصحن المرافق الأخرى للمدرسة.

**ب-** وجود مسجد للمدرسة و الذي يكون مقابل الصحن، و يتم فيه أداء الصلاة ، ويتضح ذلك من قول ابن مرزوق ، الذي نقل عنه الونشريسي ما يلي :" كنت جالسا في مجلس الإمام العلامة القدوة أبي زيد ابن الإمام بتلمسان، و المجلس بالمسجد الذي كان يقرأ فيه من مدرسته، و عادة ما تكون مساجد المداس خالية من المآذن الوجوده في الغالب بالقرب من الجوامع.

**ت-** وجود بيوت أو حجرات لسكن الفقهاء و الطلبة أو قاعات تؤدي الغرض نفسه مع توفير الاحتياجات اللازمة للطلبة.

**ث-** وجود أواوين تطل على الصحن تكون مكاناً رئيساً لجلوس العالم الذي يلقي دروسه على الطلبة ، فقد جهز السلطان أبو حمو الأول المدرسة (718-737 هـ / 1217-1318م) التي بنائها لأبني الإمام بإيوانين معدين للتدريس.

**ج-** وجود قاعات للتدريس ، كما هو الشأن في مدرسة أبي مدين التي احتوت على عدة قاعات للتدريس أو مشتركة مع الإيواء.

---

(1)عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج 5، 1994 م، ص 178

(2)نجاح القابسي ، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي ع ١٩ ، بغداد، 1981 م، ص189-190

**ح-** وجود خزانه للكتب تحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف العلوم تساهم في إمداد الطلبة بما يحتاجونه من الكتب في المطالعة و البحث [1]

**خ-** تميزت المدارس بهندستها الراقية، مع إتقان في البناء وجوده في الزخارف و جمال في الفسيفساء، فقد ذكر التنسي أن السلطان أبا تاشفين (718-737 هـ / 1217- 1336م)، كان مولعاً بتشييد الدور والقصور والتفنن فيها بالتزويق، ثم قال عن المدرسة التاشفية :" و حسن ذلك كله ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظير التي بناها بإزاء الجامع الأعظم ما ترك شيئا مما اختصت به قصور المشيدة إلا و شيد مثله بها.

**العاملون بالمدرسة :** يقوم على المدرسة مجموعة من الموظفين يحافظون عليها و على وظيفتها العلمية، ويأخذون على ذلك رواتب شهرية أو سنوية، و يمكن تقسيمهم إلى ثلاث فئات :

- الفئة الأولى: يقوم أصحاب هذه الفئة بالإعمال اللازمة للمدرسة بحيث لا تتم عمارتها إلا بهم:

1. القيم: الذي يقوم بما تحتاجه المدرسة من الكنس الفرش و الوقود و حفظ الحصير و إشعال القناديل.
2. البواب: وهو الذي يقوم بفتح باب المدرسة وغلقه.
3. مصلح المستغلات: وهو الذي يقوم بإصلاح ما تتوفر عليه المدرسة من الأحباس كالعقارات والحوانيت، ويكون أما من الفلاحين أو من جباة المال.

- **الفئة الثانية:** وتتكون من إمام للصلاة ومؤذن وهذه الفئة كما هو واضح تقوم على الاعتناء بأداء الصلاة في مسجد المدرسة، بحيث يتيسر للطلبة وغيرهم من أدائها في وقتها وفي جماعة [2].

**الفئة الثالثة :** وهي التي تقوم بدور التعليم في المدرسة ، وكل أفرادها لهم درجة لا بأس بها من العلم تمكنهم من تبوأ مقعد التدريس ، ويمكن أن نطلق عليها اسم " أعضاء هيئة التدريس " وتتكون من:

1- المدرس : هو الذي يحبس نفسه لتعليم طلبة تلك المدرسة وغيرهم تبعاً وينصحهم في ذلك أكمل نصيحة بحيث يستغنون به فيما يحسنه من العلوم عن غيره.

2- الأستاذ : " كلمة فارسية معربة معناها العالم والمعلم ، والبارع في كل صناعة[3] والظاهر أن الأستاذ كان يقوم مقام المدرس ، فصاحب المعيار مرة يورد اسمه مقروناً مع المدرس، ومرة يورده بمفرده مع أعضاء هيئة التدريس، مما يوحى بان وظيفة الأستاذ في كثير من الأحيان هي وظيفة المدرس

3- الفقيه : وهو القائم على تدريس الطلبة الفقه الملكي خاصة ، وفي بعض الأحيان الفقه على المذاهب الأربعة، وكان يتصدر للفتوى وأن قصر عند الاجتهاد.

4- النحوي : وهو الذي يختص في تقديم علوم النحو، وهذه الوظائف التي أكدتها أغلب المصادر التاريخية تفيد بأن المدرسة كانت قائمة بتدريس مختلف العلوم كعلمي الفقه والنحو، وكان الاهتمام بهاتين المادتين كبيراً، مما أضفى على حركة التأليف الطابع النحوي الفقهي في

(1) الونشريسي ، المعيار ج 7، ص 335-340
(2) المصدر نفسه والجزء ، ص372-373
(3) وجدي محمد، دائرة المعارف القرن العشرين، دار المعارف، بيروت، ج 1، 35، 1971، ص 258

مختلف المؤلفات، وإلى جانب هذه الفئات الثلاث يوجد المسؤول عنهم وهو الناظر المعين من طرف السلطان، إذ يقوم بصرف المرتبات لمختلف موظفي المدرسة ويمنح الطلبة الرواتب اللازمة بما يكفيهم في إقامتهم. ولقد شيدت المدرسة أساساً للطلبة للاهتمام بهم والقيام بحقهم في التعليم، ولذلك ينبغي الوقوف على هذه الفئة بشئ من الإيضاح :

- الطالب: إن الطالب المقصود بالدراسة والذي يحق له الالتحاق بالمدارس هو الذي كان له شروع في تعلم العلم ودرسه وتردده على أهله، ولا يعتبر طالباً من كان مبتدئاً في العلوم، بل يجب أن يكون له زاد وفير من العلوم ، يمكنه من متابعة الدراسة العليا التي تعطى في المدارس ، لذلك اشترط على الطالب عندما يدخل المدرسة أن يبلغ من العشرين فما فوقها.

وفي هذه السنة يكون الطالب قد تحصل على قدر لا بأس به من العلوم المختلفة، يخوله مزاولة الدراسة في المدرسة، كما يصبح في غير حاجة إلى أهله بعد أن اشتد عوده وصار قادراً على الاستقلال الشخصي والقيام بخاصة نفسه من المأكل والمشرب، والبعد عن الأهل بعد أن يستقر في المدرسة وكان الطالب يتمتع بامتيازات تضاهي امتيازات الطالب في عصرنا الحالي، فله أن يستفيد من بيت يأويه داخل المدرسة ، ويتحصل على ما يحتاجه من لوازم الحياة من الفرش والسمن والزيت واللحم والفحم وجميع ما يتمنون به. وقد يسمح للطلبة المتزوجين بالإقامة مع زوجاتهم في بيوت المدرسة [1] التي أصبحت موئلاً للراحة يتنافس الطلبة للحصول عليها [2] ، كما كان الطالب يستفيد من راتب على غرار الموظفين السابقين يستعين به على قضاء بعض حاجياته . والملفت للنظر أن الجرايات التي تصرف على الموظفين والطلبة كان مصدرها الاحباس [3] التي أوقفها أصحابها على المدارس، مع أن الدولة هي المسير المباشر له، فإن الجانب المالي كان يؤخذ من ربع هذه الأحباس ، ولم تشارك الدولة فيه بانتظام، ولم يكن من سياستها التكفل به، لذا نجد بعض موظفي المدارس تستلف غلات بعض المساجد لبيعه وصرفه على رواتب الموظفين .

ولقد تأرجح مستوى المعيشة لموظفي المدرسة تبعاً لغلات الأحباس، وكذلك المشرفيين عليها، ففي زمن الشريف التلمساني الذي تقلد التدريس في المدرسة اليعقوبية كان الطلبة في وقته أعز الناس وأكثرهم عدداً وأوسعهم رزقاً، بينما قل نصيبهم في زمن حسن الوزان حتى وصفهم بأنهم كانوا أفقر الناس يعيشون عيشة سيئة في مدارسهم، نظراً لتوقف موارد المدارس من الأحباس

**نظام الدراسة :** لقد ألزم نظام الدراسة الطالب شروط على عدة [4] وهى :

1. أن يبلغ سن العشرين فما فوق .
2. أن يكون أخذ في قراءة العلم ودرسه بقدر وسعة .
3. أن يحضر قراءة الحزب صباحاً ومساءاً .
4. أن يحضر مجالس العلم إلا لضرورة من مرض أو عذر مبيح.

(1) الونشريسي ، مصدر سابق ، ج7، ص 7-8. المصدر نفسه ، ج 7، ص 7
(2) المصدر نفسه والجزء ، ص 17
(3) المصدر نفسه ج7 ، ص 7
(4) وجدي محمد، دائرة المعارف، مرجع سابق، ص264.

5. أن يثبت نجابته خلال العشر سنين وإلا فصل من المدرسة، وقد ذكر ابن خلدون أن مده إقامة الطلبة في المغرب ست عشرة سنة ، ورجع ذلك إلى قلة الجودة في التعليم وان قطاع سنده ، أما في تونس فهي خمس سنين ، وأرجح ذلك الى حسن التعليم.
6. أن لا ينقطع للعبادة ويترك دراسة العلم .

هذه الشروط تؤكد الصرامة التي يتوفر عليها نظام التعليم والمراقبة المستمرة الأحوال الطلبة وتبدأ الدراسة عادة " من صلاة الصبح الى قرب الزوال وقد تستغرق في بعض الأحيان النهار كله، عندما يكون صاحب المجلس من مشاهير العلماء حيث يعمد الطلبة لكثرتهم الى تقسيم الوقت بالرمليه ، ويحرص كل واحد منهم على أخذ نصيبه من العلم ، كما يمكن أن تستمر الدراسة ليلاً بعد العشاء، خاصة عندما يحتاج بعض الطلبة الى دروس تدعيميه للمزيد من الفهم والإيضاح وفي هذا جواب* من الشيخ محمد السنوسي على تلميذه أحمد الونشريسي بعدما أصبح مدرساً في مدرسة فاس قال فيه: وجرت عوائد الشيوخ قديماً وحديثاً ان يجتهدوا في فصل الشتاء بسرد القليل من المسائل و فراغ ما للعلماء فيها وتحقيق ما يخصها من مباحث وانظار .... فإذا انصرم هذا الفصل أجموا أنفسهم الإجمام ، ثم شرعوا في إقراء لطلبة ..... [1]، وكانت مجالس التعليم في المدرسة عامرة بمختلف فنون العلم فالي جانب العلوم النقلية من فقه وحديث ، وقراءات وتفسير وأصول الدين وأصول الفقه والأدبية كالعربية والنحو والبيان ، كانت تدرس العلوم العقلية، فقد درس أبناء الإمام المنطق في المدرسة القديمة.

وكان الشريف التلمساني الذي ولاه أبو حمو الثاني (760-791ه /1358-1388م) التدريس في المدرسة اليعقوبية باعاً كبيراً في العلوم العقلية كلها منطقاً وحساباً وتنجيماً وهندسة وموسيقى وطب وتشريح وفلاحة، وقد تحدث القلصادي في رحلته عن المواد التي درسها بالمدرسة اليعقوبية في تلمسان وتلقاها عن شيخه ابن زغوان فقوله " ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه في أزمنة الشتاء والأصول العربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف ويوم الخميس والجمعة القراءة التصوف وتصحيح تأليفه [2].

كما أكد حسن الوزان بأن مدارس تلمسان كانت تدرس " مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية، وهذه النصوص التاريخية التي سجلها مؤرخون حضروا وعاصروا هذه الأحداث كفيلة برد دعاوى من يرى بأن المدارس استبعدت علوم الطبيعة من المدرسة.

**ثالثا: المكتبات وبيوت العلماء والقصور**

1 - المكتبات :

تعد المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية والعلمية التي يفخر بها المسلمون ، والتي كان لها دور كبير في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين وهي من الدعائم الأساسية التي نشأ عليها صروح العلم والثقافة

* الرملية : ساعة تعتمد على سقوط حبيبات الرمل من أنبوبة ضيقة
(1)ابن مريم البستان ، ص119
(2) أبي الحسن على القلصادي ، رحلته تح محمد أبو الاجفان ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1978، ص104

والحضارة والينابيع الفياضة التي تغذى تقدم الاسم العلمي والحضاري بماء الحياة والبقاء، ويقاس رقى أمة من الأمم بكثرة المكتبات وما تلقاه من عناية ورعاية لقد أدرك المسلمون منذ وقت مبكر حاجتهم الى المكتبات كوسيلة لنشر العلم والمعرفة ، فعملوا على إنشائها وعمارتها وتوفير الكتب بكميات هائلة ، وأنشأوا بيوت الحكمة ودور العلم ، كأماكن تنتشر فيها سبل التدريس والتعليم ودراسة مختلف العلوم لقد انتشرت المكتبات في ربوع العالم الإسلامي شرقية وغربية فكان للمغرب الإسلامى مكتبات في عهد المرابطين والموحدين، وفي عهد المرنيين [1] والحفصيين، الذين عاصروا الدولة الزيانية[2].

وقبل الحديث عن المكتبات التي ضمتها الدولة الزيانية في ربوعها ، تجدر الإشارة إلى أن الحركة العلمية التي شهدتها تلمسان في العصر الزياني، بالإضافة على عمليات التبادل الثقافي بين البلدان الإسلامية ، وكانت المورد الأساسي لمئات الكتب التي ألفت في مختلف فنون العلم - نقليه وعقلية وقد كان لثراء هذه الحركة العلمية وجود أسواق مختصة ببيع الكتب، والتجارة فيها مما يؤكد وجود حركة علمية رائجة ، كان من أهم مظاهرها اقتناء الكتب العلمية التي أصبحت شائعة شيوع عروض التجارة الأخرى ولعل من أهم ما ساعد على تكوين هذه السوق كثرة عمليات النسخ للكتب العلمية نقليه وعقلية [3]

ونظراً لانتشار النسخ بشكل واسع فان الورق المحلى لم يعد يكفى بالغرض المطلوب لعمليات النسخ ، لذا بدأ الالتجاء الى الورق الرومي ، الذي أصبح منتشراً من " مدينة طرابلس إلى مدينة تلمسان - وكانت وفرته وانتشاره والحاجة إليه محل تساؤل وفتاوى طرحت على الفقهاء للنظر في طهارته، ومن ذلك نص الفتوى التي أجيب بها ابن مرزوق الحفيد عن طهارة الورق الرومي الذي اكتسح عالم النسخ، ولأهمية الموضوع في عصره ، جاءت هذه الفتوى على شكل كتاب سماه " تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغدا الروم.

وكانت عمليات التأليف ونسخ الكتب من أهم الموارد التي أسهمت في إنشاء المكتبات في الدولة الزيانية ، حيث كان لمؤسس الدولة ، في بتلمسان سوق خاصة ببيع الكتب، وكان حريصاً على جمع نفائس الكتب ، ومنها المصحف العثماني الذي كان بحوزة السعيد الموحدى، وكان الموحدون ينقلونه في حركاتهم وأسفارهم متبركين به ، ولما توجه هذا الأخير لمحاصرة تلمسان قتل هناك سنة (646 هـ / 1284 م ) فنهبت خزائنه التي كانت معه، وكان مما نهب هذا المصحف الكريم فاشتراه يغمراسن من سمسار بعد أن انتهى خبره إليه ، فصانه واحتفظ به في مكتبته والواضح أن السلاطين الذين قاموا ببناء المدارس ، قد جهزوا هذه المدارس ، بما كانت تحتاجه من مكتبات على عادة المدارس في ذلك العهد واشتهر السلطان أبو حمو الثاني (760 - 791 هـ / 1358 1388 م ) بتأسيسه للمكتبة العمومية في تلمسان وجلب لها مختلف الكتب[4]، كما اعتنى ابنه أبو زيان (796 - 801) هـ / 1393 - 1398

(1)محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس ، دار القلم ، الكويت، ط2، 1987م، ص349
(2)محمد بن أبي القاسم القيرواني المعروف بأبي دينار المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس دار المسيرة، ط3، 1993م، ص136
(3) ابن مريم البستان ، ص 226-219
(4) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج 2، ص 305

م ) بتأسيس مكتبة ضخمة بالجامع الأعظم بتلمسان [1]، ونالت شهرة واسعة في أقطار المغرب والمشرق العربيين لما اشتملت عليه من أصناف الكتب في مختلف العلوم . وقد كان هذا السلطان من العلماء ومن محترفي النسخ ، فقد نسخ بيده " نسخاً من القرآن الكريم، ونسخة من صحيح البخاري، ونسخاً من كتاب الشفا بتعريف بحقوق المصطفى لأبي الفضل عياض حبسها كلها بخزانته [2] السالفة الذكر بالجامع الأعظم بتلمسان وهذا الحرص من السلاطين على إنشاء مثل هذه المكتبات يشكل معلماً مع معالم سياسة الدولة في الاهتمام بالعلوم وتقريبها للدراسيين ، كما يؤكد محاولة الدولة النهوض بالمجال العلمي وتقدمه ورقيه.

**أنواع المكتبات** : انتشرت المكتبات في المجتمع الزياني وأسهم السلاطين والعلماء وعامة الناس في إنشائها ، وقد وجدت المكتبات في العديد من الأماكن في العديد من الأماكن منها :

1- **القصور :** احتوت القصور السلطانية على مكتبات شارك في ملئها الى جانب السلاطين المحسنين بهباتهم وأحباسهم، وهذه المكتبات كانت تحتوى في الغالب على مخطوطات أو نسخاً من القرآن الكريم وكتب السنة والسيرة والعربية والتفسير والتاريخ والوعظ والفقه والتصوف.

2- **المساجد والمدارس والزوايا والأربطة :** لقد احتوت هذه المؤسسات على مكتبات أسهم في ظهورها السلاطين، والمحسنين وأموال الأحباس الموقوفة عليها ، وكانت تضم في رفوفها نسخاً من القرآن الكريم ونسخا من كتب السنة أما المساجد الكبيرة والجوامع فكانت مكتباتها تضم مجموعة من كتب العلوم مثل : كتب التفسير والفقه والأصول والرقائق والمواعظ والحديث، إلى جانب كتب اللغة، والطب والحساب والتاريخ والأدبيات وغير ذلك [3] .

3- **مكتبات الأسر:** إلى جانب مكتبات القصور والمساجد والمدارس والأربطة والزوايا كانت للأسر والخاصة اهتماماً واسعاً بجمع الكتب وترتيبها في مكتبة داخل البيوت ، وكان العلماء ، أشد حرصاً على تكوين مكتبات خاصة في بيوتهم .

**بيوت العلماء :**

كان للعلماء دور ريادي في التعليم بمختلف مؤسساته ، فضلاً عن إعطائهم الدروس المتنوعة في المساجد والمدارس ، ظلت بيوتهم عامرة بالطلبة في كل الأوقات ، يحرصون على تعليمهم وإمدادهم بما يحتاجون من التوجيه والإرشاد العلمي ، خاصة وأن دار العالم عادة ما تكون ميسرة لمختلف الطلبة وكانت صدور العلماء رحبة اتجاه الطلبة ، مما أسهم في توافدهم على بيوتهم

**القصور :**

حرص سلاطين بني زيان على الاهتمام بقصورهم وأن يجعلوها مجالس للعلم ومؤسسات تقوم بدور فعال في مجال العلم، إذ توفر هذه المجالس الفرصة لأكابر العلماء والطلبة من الإفادة والاستفادة، فقد كان بلاط السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو الأول (718-707) هـ / 1307- 1318 م ) مجلساً للعلم

(1) القيرواني، مصدر سابق، ص137.
(2) المصدر نفسة والصفحة
(3) الزركشي، تاريخ الدولتين ، ص 116

والتعليم تدرس فيه العلوم وتعقد فيه الندوات العلمية والفكرية والفقهية وتثار فيه المناقشات التي يشارك فيها مجموعة من كبار العلماء، وكان بلاط السلطان أبي حمو الثاني (760- 791ه/ 1358- 1388 م) على نفس النسق، إذا ازدهرت في عهده العلوم وارتقت آفاق المعرفة .

ونظراً لخصوصية مجالس السلاطين ، فقد كان يحضرها إلى جانب السلطان تفوقهم العلمي للدراسة والمذاكرة فيها، ولو كانوا صغار السن، حيث ضم مجلس السلطان أبي تاشفين ابن أبي حمو الأول طلبة أمثال المقري الجد الذي كان حديث السن في ذلك الوقت ويشارك الطلبة في المناقشات التي تدور بين العلماء في مسائل تخصصهم، وكان نظام الدراسة في بلاط السلاطين يخضع لقاعدة التناوب بين العلماء، حيث يقوم كل عالم بالحديث في الوقت المخصص له، وكان الحضور من العلماء والطلبة يبدون آرائهم في المواضيع التي تحتاج إلى إثراء ومناقشة، في حضرة السلطان، وكثيراً ما كان العلماء يتبارون أمامه ليبدى كل منهم مقدرته العلمية واتساع مداركه في مختلف العلوم.[1] وكان السلطان يشارك في بعض الأحيان للإدلاء برأيه في تلك المناقشات

**الخاتمة**

مما سبق نجد أن الياة الفكرية والعلمية بمدينة تلمسان شهدت حركة دؤوبة ونمو مفرداً، حيث أن معظم سلاطين بين زيان كانو من الأدباء والمفكرين حيث شاركوا بطريقة أو بأخرى في تطوير الحركة الفكرية في البلاد وبالتالي فقد شجعوا العلماء والأدباء والمفكرين حتى تم بلورة النتائج الفكري لديهم، وباعتبار أن التعلم من أهم دافع الحركة العلمية والفكرية فقد توسعت رقعتها وتعمقها مما أدى إلى ترقية المجتمع علمياً وحضارياً.

وأصبح مراحل التعليم ونظامه من وسائل الهامة في تقدم العلوم والتدرج بالطلبة من مستويات دنيا إلى مستويات عالية، ومما زاد عملية الاجتهاد "الإبداع والابتكار" ذلك أن الدولة الزيانية لم يكن فيها نظام تعليمي واضح المعالم ولم تكن به مراحل محددة ولا مناهج مضبوطة يستطيع الطالب الالتزام بها والتدرج فيها إلى أن يصل إلى درجة العلماء والاجتهاد، حيث كان العالم أو الشيخ محور العملية التعليمية ولكل منهم طريقته وعلمه الذي يدرسه، والطلاب ينتقلون من عالم إلى أخر ومن كتاب إلى غيره، وكانت الاجازة هي الشهادة التي يتحصل عليها الطالب كدليل على كفاءته الفكرية في هذا العلم.

وقد فقد الحركة الفكرية بتلمسان برامدين هامين هما راقد الأندلس و راقد المشرق، فتعمق التحصيل وتنوع الاقتباس ودخلت حلقات الدارس ومجالس العلم مختلف المؤلفات الاندلسية والمغاربية، وفي إطار المذهب والسلف وتيار التصوف، وساد المذهب الاشعري في الاعتقاد والمذهب الملكي في الفقيهات.

وازهدرت حركة الجدل والمناظرات الشفوية والمكتوبة بين فقهاء تلمسان وغيرهم من فقهاء الأندلس والمغرب ومصر، وتناولت الفقيه المالكي والتفسير والتصوف واللغة والمنطق وكثير من المسائل الفكرية الأخرى.

(1)المقري، نفح الطيب، ص218، 219

وتحولت تلمسان إلى مركز علمي رحل إليه كثير منالطلبة بحثاً عن الدراسة وطلباً للعلم من الشرق إلى الغرب.

**المصادر**

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ج 1، (دت)
2. الزركشي، محمد بن عبد الله ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، نح / أبو الوفاء مصطفى المراغى ، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ط 5، 1999م
3. عباس إبراهيم المراكشي ، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الجديدة ، فاس ، ج 1، (دت)، ص367
4. التلمساني، محمد ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تح ماريا خيوس تق محمود بوعياب الشكرة الوطنية للنشر الجزائر ، 1981م
5. أبي الحسن على القنصادي ، رحلته تح محمد أبو الاجفان ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1978
6. القيرواني، محمد بن أبي القاسم المعروف بأبي دينار المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس دار المسيرة، ط3، 1993م

**المراجع:**

1. ابن مريم، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن أبي شنب منشورات المطبعة الثعالبية الجزائر ، 1980م، 119.
2. أبو العباس أحمد الغبريني الدارية قيم عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية الشركة الوطنية للنشر وتوزيع الجزائر، ط2، 1981م
3. أبو العباس أحمد القسنطيني ابن قنفد أنس الفقير وعز الحقير، تصح / محمد الفاسي او د نفود منشورات المركز الجامعي، كلية الآداب الرباط، 1965
4. حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ع37، 1981م
5. الزبيدي، محمد مرتضى ، تاج العروسمن جواهر القاموس مع / إبراهيم الترزي مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الكويت، 2000م ، ج 5
6. شارل اندرى جوليان تاريخ أفريقيا الشمالية ، تر / محمد مزالى وبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ج 2، 1969 م
7. عبد الحكيم عبد اللطيف، المسجد رمز الصمود والتحدى الدار العربية للكتاب، القاهرة 2000م
8. عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بنى زيان مجلة الأصالة 264، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤن الدينية الجزائر، 1975م، ص 138

9. عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، أطروحة لنيل الدكتوراة الدولة الجزائر، معهد التاريخ، غير منشورة، ج2، 1995م
10. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج 5، 1994 م
11. عبد الله بن محمد بن صعد ، روضة النسرين في مناقب الأربعة المتاخرين ، نح يحيى بوعزيز ، منشورات أنيب، الجزائر ، 2004
12. عبدالله عبد الرازق ، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، مكتبة مدبولي القاهرة، 1989
13. غربال، محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1972
14. فؤاد الأهواني التربية في الإسلام، دار المعارف القاهرة ، 1983م ، ص 60 .
15. مجد الدين محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ج1، 1978.
16. محمد بن عثمان الهوارى الولى الصالح سافر من فاس على المشرق للحج ورحل إلى مصر ، ثم القدس وتجول بالشام واستقر أخيراً بوهران وبها توفى سنة 843 هـ / 1439 م .
17. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م
18. محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس ، دار القلم ، الكويت، ط2، 1987م
19. وجدي محمد، دائرة المعارف القرن العشرين، دار المعارف، بيروت، ج 1، 35، 1971

**الدوريات**

1. نجاح القابسي ، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي ع 19 ، بغداد، 1981 م، ص189-190